

يَا زَهْرَاءَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ سَيِّدِي يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ

إخوتي أخواتي أبنائي بناتي سلامٌ عليكم جميعاً .

ملفُ التنزيلِ والتأويلِ

الحلقة الثانية ٢٠١٣/٣/٣٠م

في بداية هذه الحلقة سأتناول العناوين التي سأبحثها في حلقات هذا الملف ، وبعد ذلك أعود لتتمة حديثي الذي بدأتُه في الحلقة الماضية ، العناوين التي سأشيرُ إليها، ربما بعض العناوين تُبحث في أكثر من حلقة وربما في بعض الحلقات هناك أكثر من عنوان ، إنني أشيرُ هنا إلى فهرست المطالب والموضوعات التي سأتناولها في حلقات هذا الملف ، في هذا اليوم أتم الحديث الذي بدأتُه في الحلقة الماضية والحديث لا زال في معنى التنزيل والتأويل ، وفي الحلقة القادمة سيكون هناك تطبيق عملي لموضوع الشهادة الثالثة المقدسة ، الشهادة بالولاية في الأذان والإقامة وفي التشهد الوسطي والأخير وفي التسليم للصلوات المفروضة الواجبة والمندوبة وفي سائر المواطن الأخرى ، سأتناول هذه المسألة ما بين مرحلة التنزيل ومرحلة التأويل لتكون تطبيقاً عملياً يتوضح من خلالها المقصود من برنامجنا هذا . العنوان الذي يلي هذا التطبيق العملي سأتناول (الواقع الشيعي العقائدي ما بين التنزيل والتأويل) أتناول ملامح هذا الواقع وبشيء من التفصيل بحسب ما يسنح به المقام ، بعض المطالب أوجزها في هذا الملف إذا كان الإيجاز كافياً وبعض المطالب أفصل فيها القول إذا كان التفصيل حاجةً ضروريةً لبيان القصد ، بعد أن أتناول الواقع الشيعي العقائدي ما بين التنزيل والتأويل سأتناول عناوين مهمةً جداً ترتبط بهذا البحث الذي يتناوله هذا الملف .

عنوانٌ مهمٌّ جداً (علم الرجال) وسأفردُ له حلقةً أو أكثر ربما إذا اقتضت الضرورة.

علم العرفان وأعني بعلم الرجال الشيعي ، وأعني بعلم العرفان الشيعي ، حديثنا عن التنزيل والتأويل في ضوء فكر الكتاب والعترة (علم الرجال الشيعي) عنوانٌ أتناوله بالبحث والتفصيل، (علم العرفان الشيعي).

عنوانٌ طرِحَ في العقدين الأخيرين أو ربما قبل ذلك بقليل، قراءةٌ شيعيةٌ معاصرة لديننا، لعقيدتنا، لفقها ، سمّاها البعض بالدين العلماني وسمّاها البعض الآخر بالدين المدني أو بالإسلام المدني وسمّاها آخرون بالدين الليبرالي ، قراءة modern قراءة معاصرة للدين وبدأت تأخذ آثارها في الواقع الشيعي.

عنوانٌ رابع أيضاً سأتناوله (النظرية القصديّة للمفكر العراقي الراحل أستاذ عالم سبيط النيلى رحمة الله عليه).

بعد أن أتناول هذه العناوين المهمة سأدخل في تطبيقاتٍ لعناوين أنتخبها وأتناولها بالدرسٍ بشكلٍ مجمل لأجل توضيح المطلب، لأجل توضيح القصد من هذا الملف: (العيد ما بين التنزيل والتأويل) ، (زيارة الحسين صلوات الله عليه ما بين التنزيل والتأويل) ، (منزلة الأنبياء ، عقيدتنا في منازل الأنبياء ودرجاتهم ما بين التنزيل والتأويل) ، (الرجعة ، عقيدة الرجعة ما بين التنزيل والتأويل) ، (أصول الدين ما بين التنزيل والتأويل) ، (تطبيقاتٌ أتناولها وفقاً لملامحها ما بين مرحلة التنزيل وما بين مرحلة التأويل).

وبعد كل هذه العناوين أصل إلى العنوان الرئيس : (فاطمة صلوات الله عليها ما بين التنزيل والتأويل) فاطمة ما بين الكتاب والعترة ما بين التنزيل والتأويل ، ثم أتناول هذا العنوان (فاطمة بين علماء الشيعة) والمعرفة الفاطمية كما بيّنت في الحلقة الماضية هي البوابة وهي الوسيلة لمعرفة إمام زماننا لذا سينفتح عنوانٌ هنا (ملامح معرفة الإمام المعصوم ما بين التنزيل والتأويل) وبعد هذا العنوان (ملامح معرفة الإمام المعصوم معرفة إمام زماننا بين علماء الشيعة) ، وبعد ذلك تأتينا (الخاتمة) خاتمة هذا البرنامج ، هذه هي العناوين الرئيسة التي سأتناولها إن شاء الله تعالى في حلقات هذا الملف ، بعد هذا البيان الموجز لفهرست

مطالب وموضوعات وعناوين هذا الملف أعودُ لأتمّ حديثي من حيث انتهيت في الحلقة الماضية وهي الحلقة الأولى وها نحنُ في الحلقة الثانية .

خلاصة سريعة لما تقدم في الحلقة الماضية :

بعد بيان نقاطٍ مهمة تتعلق بالبرنامج أجبتُ عن سؤالين ، السؤال الأول : لماذا هذا الملف ؟ وخلاصة الجواب وزيدته، شيعي أنا و لي إمام أنتظره و ينتظري ، أريد الدخول في فناءه الشريف كي أكون من الممهّدين ومن المحيين لأمره صلوات الله عليه ، جواز العبور إلى هذا الفناء الشريف هو معرفته ومعرفته بالنورانية ، البوابة التي توصلني إلى هذه المعرفة هي الهوية الصادرة من الصديقة الكبرى المصدّقة بالتصديق الفاطمي (فَإِنَّا نَسْأَلُكَ إِن كُنَّا صَدَقْنَاكَ) فماذا نريد منها ؟ (فَإِنَّا نَسْأَلُكَ إِن كُنَّا صَدَقْنَاكَ) نريد منها التصديق ونريد منها التطهير كما مرّ في زيارتها الشريفة وسيأتي الكلام في هذه التفاصيل وفي هذه الأنحاء ، هذا السؤال الأول.

اما السؤال الثاني ما معنى التنزيل والتأويل الذي يتحدث عنه هذا الملف ؟ وبشكل سريع، التنزيل هو عنوانٌ لكيفية نزول القرآن وعنوانٌ للقرآن نفسه وعنوانٌ للمضمون الذي بيّنه النبي من تفسير القرآن أو للذي فهمه المسلمون أيام النبي وأقرّهم النبي صلى الله عليه وآله على ذلك ، والمضمون الرابع أو المعنى الرابع للتنزيل أنّ التنزيل هو التأويل حيث يتمهى التنزيل والتأويل في مرتبة من المراتب ، يتمهى التنزيل في التأويل ويتمهى التأويل في التنزيل ، أما التأويل فالمراد منه الحقيقة ، تمام الحقيقة والأصل في الأشياء ، تقريباً هذه خلاصة ما مرّ في الحلقة الماضية وفي هذه الحلقة أتمّ من حيث انتهيت .

أمرٌ على آيات الكتاب الكريم وأمرٌ على طائفةٍ من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هذا هو قرآنا :

التأويل في الكتاب الكريم :

إذا ذهبنا إلى سورة آل عمران والآية واضحة ومرّت الإشارة إليها في الليلة الماضية وهي الآية السابعة : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قطعاً الحديث هنا عن حقيقة الكتاب الكريم، عن الحقائق التي تشير إليها المحكمات والمتشابهات من الآيات ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ المضمون الذي تشير إليه المحكمات والمتشابهات هو هذا التأويل، هي هذه الحقيقة، التأويل هو الحقيقة ، وما يعلم تأويله وما يعلم حقيقته إلا الله والراسخون في العلم، أما التأويل الذي يشيع بين الناس وهو المعنى الثانوي وليس المعنى الأصيل وليس المعنى الرئيس وليس المعنى الأساس، ذلك لا علاقة له بمنهج الكتاب والعترة ، التأويل هو الحقائق .

إذا نذهب على سبيل المثال إلى سورة النساء ، تلك كانت الآية السابعة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ إذا نذهب إلى سورة النساء وإلى الآية التاسعة والخمسين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ الآية واضحة لشيعه أهل البيت معناها واضح ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أحسن تأويلاً أي إرجاع الشيء إلى أحسن حالاته، إلى حقيقته وإلى أصله ، الحديث هنا عن طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر والرجوع إليهم ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ التأويل هو الحقيقة.

وإذا ذهبنا إلى سورة يونس إلى الآية التاسعة والثلاثين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ هذه الآية الثامنة والثلاثون وبعدها تأتي الآية التاسعة والثلاثون وهي المقصودة ، إنما أقرأها ليتضح المعنى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ

اَفْتَرَاهُ قُلُوبًا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا ﴿١﴾ بِأَيِّ شَيْءٍ ؟ ﴿٢﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ﴿٣﴾ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿٥﴾ كَذَّبُوا مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفُوا الْحَقِيقَةَ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ الْحَقِيقَةُ ، التَّأْوِيلُ هُوَ الْحَقِيقَةُ وَالتَّأْوِيلُ هِيَ الْحَقَائِقُ .

إذا ذهبنا إلى سورة يوسف وسورة يوسف من أكثر سور القرآن استعملت فيها هذه المادة وهذه الكلمة وهذا المصطلح ، في الآية السادسة : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ﴿١﴾ تأويل الأحاديث هنا يعقوب يقول لولده يوسف ، يعقوب يقول ليوسف على نبينا وآله وعليهما أفضل الصلاة والسلام ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ﴿٢﴾ تأويل الأحاديث هي حقائق الأحلام وإرجاع الأحلام والمنامات الصادقة إلى أصلها ، ليس القضية هكذا في بيان معانٍ ثانوية .

في نفس سورة يوسف إذا نذهب إلى الآية الحادية والعشرين : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ﴿١﴾ التمكين في الأرض جزء منه بالنسبة ليوسف هو تأويل الأحاديث وهو إرجاع المنامات الصادقة إلى معانيها الحقيقية وبيان حقائقها .

وفي نفس سورة يوسف الآية السادسة والثلاثون والآية السابعة والثلاثون : ﴿ تَبَيَّنَّا بِتَأْوِيلِهِ إِنْ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ ﴿٢﴾ تَبَيَّنَّا بِتَأْوِيلِهِ أَي بِحَقِيقَتِهِ ، فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا تَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ ﴿٣﴾ بِحَقِيقَتِهِ ﴿٤﴾ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴿٥﴾ .

إذا ذهبنا إلى موطن آخر من سورة يوسف في الآية الرابعة والأربعين وفي الآية الخامسة والأربعين : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ ﴿ هَؤُلَاءِ مَنْ ؟ الَّذِينَ كَانُوا يَرْوُونَ الرُّؤْيَا عِنْدَ الْفِرْعَانَةِ ﴾ ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ ﴿ بتأويل يعني بإرجاعها إلى حقائقها ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ﴿ أنا أنبؤكم بحقيقته لأنه يشير إلى تأويل يوسف لمنامه حينما كان في السجن وهو السقاء الذي كان يسقي الملك، ساقى الملك .

وإذا ذهب إلى الآية المئة وإلى الآية الحادية بعد المئة أيضاً من سورة يوسف : ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ ﴿ هذا هو إرجاع المنامات الصادقة إلى حقائقها ﴾ ﴿ وَقَالَ يَا أَبْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ ﴿ وفي الآية التي بعدها : ﴿ رَبِّي قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ﴿ التأويل تلاحظون بشكل واضح يتحدث عن الحقائق .

إذا ذهبنا كذلك إلى سورة الإسراء وفي الآية الخامسة والثلاثين : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ ﴿ في سياق الآيات : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ إلى أن تقول الآية : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿ وأحسن تأويلاً أي إرجاع الأشياء إلى حقيقتها الأولى ﴾ ﴿ ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً ﴾ ﴿ إرجاع الحقائق إلى تفاصيلها الأصلية .

نفس المضمون في سورة الكهف في قصة موسى والخضر في الآية الثامنة والسبعين : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ ﴿ الخضر يقول لموسى ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُتِّبُّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ﴿ بماذا أخبره؟

بحقائق الأمور وبحقائق الأحداث ﴿ سَأْتِبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أما السفينة، وأما الغلام، وأما الجدار، التفاصيل التي جاءت مذكورة في قصة موسى والخضر ، إلى أن يقول في نهاية الآية الثانية والثمانين : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ تلك هي حقائق الأحداث ، هنا الخضر عليه السلام أرجع الأحداث إلى أوليتها ، أرجع الأحداث إلى أصلها كما كان يوسف عليه السلام يُرجع المنامات الصادقة إلى أصلها وإلى حقيقتها

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ هم الذين يُرجعون الأشياء إلى حقائقها لأنهم هم العالمون بحقائق الحقائق ، بقيت هناك آية واحدة سيأتي ذكرها، ذكرت هذه المادة مادة التأويل، سيأتي الحديث عنها حينما أتناول أمثلة من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونحن هكذا دوماً ما بين الكتاب والعترة ، الكتاب والعترة لن يفترقا والتأويل لن يكون متقوماً وقائماً وموجوداً من دون هذين العمودين الكتاب والعترة .

إذا ذهبنا إلى سورة البقرة كي نتلمس معنى التأويل ، التأويل الذي أتحدث عنه ليس أسلوباً لفهم القرآن وليس أسلوباً لفهم الحديث كما بيّنت في الحلقة الماضية أن التنزيل هي مرحلة الدين الأولى في زمن تبليغه الأول في زمان النبي وانتهت هذه المرحلة ببيعة الغدير ، كان هناك جملة من الصحابة أمثال سلمان وأبي ذر ممن دخلوا في مرحلة التأويل أيام النبي، لكن الأمة بشكلٍ عام دخلت في مرحلة التأويل حين بايعت بيعة الغدير ، نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمهّد لمرحلة التأويل وكان يحاول أن يقرب الأمة إلى هذه المرحلة حتى أدخلها بشكلٍ رسمي وبشكلٍ قطعي حين كانت بيعة الغدير وبدأت مرحلة التأويل ، بعبارة أخرى أن مرحلة التأويل نسخت مرحلة التنزيل وهذا هو السرّ في وجود ناسخٍ ومنسوخٍ وفي وجود مُحكمٍ ومتشابهٍ إن كان ذلك في القرآن أو في حديث العترة هو هذا السرّ ، وجود الناسخ والمنسوخ، وجود المحكم والمتشابه وسائر التفاصيل الأخرى السرّ في ذلك ليس لإضلال الناس وليس لتجهيل الناس ولكن لأنّ الدين على مراحل ، ولم تكتمل مرحلة التأويل إنما تكتمل مرحلة التأويل بظهور إمام زماننا ، أتمتنا طيلة الفترة الزمانية

التي عاشوها كانوا يتدرّجون في تربية الأمة، في تربية شيعتهم على التأويل ، حتى تكتمل هذه المرتبة باكمال العقول وباكمال القلوب حينما يبسط عدله على كل الأرض صلوات الله وسلامه عليه ، المثال الذي ذكرته في يوم أمس أعيدته وأكرّره، وأكرّره دائماً وأضيفُ إليه مثلاً آخر ، كما قلت بأن النبي صلى الله عليه وآله كان عشر سنوات في المدينة وكل سنة هي عبارة عن ٥٢ أسبوع يعني هناك ٥٢ جمعة ، وكان النبي يصلي الجمعة وفي كل جمعة خطبتان يعني ١٠٤٠ خطبة ، حتى لو أردنا أن نحذف منها ثلاثة أرباعها يبقى أكثر من مئتي خطبة ، أين هذه الخطب ؟ المخالفون ما رووها ، فلماذا لم يروها الأئمة أيضاً؟ علماً أن المعروف عند الشيعة والسنة أن تشريع صلاة الجمعة كان في مكة وليس في المدينة ، نعم لم يُقَمها النبي صلى الله عليه وآله في مكة لعدم توقّر الشروط وإلا هذه الحادثة معروفة في كتب الحديث وفي كتب التاريخ بعد بيعة العقبة، النبي صلى الله عليه وآله حين بعث مصعب بن عمير إلى المدينة، مصعب بن عمير صلى الجمعة في الأنصار في المدينة، والنبي صلى الله عليه وآله في هجرته لَمَّا وصل إلى مسجد قبا صلى صلاة الجمعة في مسجد قبا ، قد يختلف المؤرخون وأصحاب الحديث وأصحاب السير ولكن أكيداً أنّ أول صلاة صلاها النبي في المدينة هي صلاة الجمعة ، يعني عندنا ١٠٢٠ خطبة ، كم عدد الخطب التي ربما خطبها النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وكم عدد الخطب التي لم يخطبها بسبب سفره أو لخروجه في حرب ، سيكون عدد الخطب التي لم تُخطب قليل ، يعني هناك عدد هائل مئآت ومئآت من الخطب ما رُويت لنا، لماذا ؟ لأنها تتناسب مع عصر التنزيل .

وشيء آخر ، الكتاب الكريم واضح الآن إذا نذهب إلى سورة الجمعة على سبيل المثال ، ماذا نقرأ في سورة الجمعة ؟ ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يعني أن النبي صلى الله عليه وآله علمهم ، علمهم الكتاب وعلمهم الحكمة، ولكن أين أحاديث النبي في تفسير القرآن ؟ دعني من المخالفين، حتى المخالفون الأحاديث الموجودة عندهم أحاديث قليلة ، دعني من المخالفين فأكثر الأحاديث ينقلونها عن الصحابة ، وكثير من هذه الأحاديث التي تُنقل عن الصحابة ليس معلوماً حتى بحسب مقاساتهم قد أخذت عن النبي، لا أريد الحديث عن المخالفين لا شأن لنا بهم ولكن في كتبنا الحديثية

أحاديث النبيّ في بيان معاني القرآن قليلة ، سيقول قائل بأن أحاديث الأئمة هي أحاديث النبي، نعم أحاديث الأئمة هي أحاديث النبيّ لكن لا على أساس أن الأئمة يروون الحديث عن النبيّ وإنما لأن الأئمة هم نفس النبيّ بهذا اللحاظ ، أمّا هذه الروايات التي تقول بأن الأئمة هم ينقلون حديث النبيّ وإن كانت موجودة في كتبنا لكن هذه تخضع لقاعدة مداراة العقول وهذا موضوع آخر خارج عن بحثنا.

أين أحاديث النبيّ؟ لماذا لم يذكرها لنا الأئمة؟ لأنها كانت تتناسب مع عصر التنزيل، وأشياء أخرى كثيرة ، التنزيل مرحلة والتأويل مرحلة جديدة ، ولذلك الآيات القرآنيّة ماذا تحدّثت وهي تحاطب النبيّ: إنك إن لم تُبلِّغ ما بلّغت رسالته، إن لم تُبلِّغ ولم تعقد البيعة لعليّ في الغدير ما بلّغت رسالته، لماذا ؟ لأن الرسالة في مرحلة التنزيل ناقصة هذه مرحلة أولى ، تمام التبليغ بنصب عليّ، حيث تبدأ مرحلة التأويل وهي مرحلة الحقيقة.

فالتنزيل منظومة فكريّة كاملة، عقائديّة دينيّة فقهية تفسيرية روحية سلوكية، قل ما شئت والتأويل كذلك ، والتأويل منظومة متكاملة ونبوة النبيّ لم تنته، حينما نصل إلى الرجعة سنفهم بأن تلك المرحلة، مرحلة التنزيل كانت مرحلة أولى من مراحل نبوة النبيّ ، النبيّ هو الفاتح وهو الخاتم ، الله سبحانه وتعالى أرسله إلى الناس كافة فهل وصلت رسالته إلى كافة الناس ؟ إنما تصل في مرحلة الرجعة إلى كافة الناس ، أرسل رحمة للعالمين ، وصلت رحمته بمظاهر أخرى، لكن هل وصلت رحمته في جهة الرسالة والدين والشريعة إلى كل العالمين ؟ لم يتجلّى هذا المعنى في زمانه صلى الله عليه وآله إنما تتجلّى هذه الحقائق في مرحلة الرجعة ، وهذا هو التأويل الذي أتحدّث عنه .

إذا ذهبنا إلى سورة البقرة وإلى الآية الثالثة والخمسين بعد المتين ، أنا هنا فقط بصدد نماذج ، نماذج من الآيات ونماذج من الروايات وفي يوم غدٍ سنأخذ تطبيقاً على موضوع الشهادة الثالثة ، الآية الثالثة والخمسون بعد المتين ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الكلام هنا، القسم الأول : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ

فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿١٠﴾
 هذا واضح الكلام ﴿١٠﴾ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن
 ومنهم من كفر ﴿١١﴾ من بعد الأنبياء هناك من آمنوا وهناك من كفروا ﴿١١﴾ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما
 يريد ﴿١٢﴾ .

لنذهب إلى تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني وهذا هو الجزء الأول ، الرواية ينقلها عن الشيخ الطوسي
 من كتابه (الأمالي) بسنده عن الأصبع بن نباته قال : جاء رجل إلى عليٍّ - متى هذا ؟ كان ذلك في واقعة
 الجمل - جاء رجل إلى عليٍّ فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم ، الدّعوة واحدة - هذا هو التنزيل
 لاحظوا الفارق بين التنزيل والتأويل - هؤلاء القوم الذين تقاتلهم ، الدّعوة واحدة - العناوين العامة واحدة -
 والرّسول واحد والصلّاة واحدة والحجّ واحد فبم نسميهم ؟ فقال : بما سمّاهم الله تعالى في كتابه - يقول له بأننا
 نحمل نفس العناوين وهي عناوين مرحلة التنزيل ، إنتهوا إلى الكلام ، كلام دقيق جداً - جاء رجل إلى عليٍّ
 عليه السّلام فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين تقاتلهم ، الدّعوة واحدة والرّسول واحد والصلّاة واحدة والحجّ
 واحد فبم نسميهم ؟ - هذا يمكن أن تجده حتى في الواقع الشيعي الآن - فقال : بما سمّاهم الله تعالى في
 كتابه ، فقال : ما كل ما في كتاب الله أعلمه ، قال : أما سمعت الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
 اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ ﴿١٠﴾ فلما وقع الاختلاف
 كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ - وقع الاختلاف أين ؟ في مرحلة التأويل ، أولئك تمسكوا بالتنزيل وحرّفوا التنزيل

أيضاً ، وقع الاختلاف ، هنا ستقاتلهم يا عليّ على التأويل كما قاتلت على التنزيل _ فلَمَّا وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ
 كُنَّا نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ _ أولى بفهم الرسالة وفق التأويل لا بفهم الرسالة وفق التنزيل كما يفهمه الطرف الآخر مع
 تحريفه _ فلَمَّا وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ كُنَّا نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِالْكِتَابِ وَبِالْحَقِّ فَنَحْنُ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا _ الآية هي أشارت إلى ذلك ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ
 الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ _ من بعد الأنبياء _ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ البيّنات اتّضحت في بيعة الغدير بشكل
 واضح ﴿ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ أمير المؤمنين يقول : فَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لذلك في الروايات أن عائشة أخذت قبضةً من تراب ورمتها على جيش أمير المؤمنين أرادت أن تفعل كفعل
 النبيّ في بدر حين تخاطبه الآية ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ماذا قال لها أمير المؤمنين ؟ وما
 رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَشَاءَ اللَّهُ قَاتَلَهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، هذا الحديث رواه
 الشيخ المفيد في الأمالي أيضاً ، ورواه الشيخ الطوسي في أماليه وأيضاً في مجالسه ، ورواه الشيخ العياشي في
 تفسيره ومصادر كثيرة أخرى لهذا الحديث .

في تفسير العياشي هناك إضافة على هذه الرواية : (فَقَالَ الرَّجُلُ : كَفَرَ الْقَوْمُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ) المعنى واضح ، هو
 الذي قال نحنُ عناويننا واحدة ، ماذا قال لأمير المؤمنين ؟ قال الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة
 والحج واحد ، الإمام قال له لا ، هذه عناوين موحّدة ولكنهم كفروا ، فنحن الذين آمنوا ، كفروا لماذا ؟
 لأنهم كفروا بمرحلة التأويل ، فهو يقاتلهم على التأويل (نحنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَالَ الرَّجُلُ : كَفَرَ الْقَوْمُ
 وَرَبَّ الْكَعْبَةَ ثُمَّ حَمَلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ) .

الكلام واضح والمطالب صريحة جداً والروايات من هذا النوع كثيرةٌ ووفيرةٌ، مستفيضةٌ متواترةٌ، قل ما شئت ، هذه المصطلحات ليست مهمة لكن حديث أهل البيت من أوله إلى آخره يشير إلى هذه الحقيقة ، الميزان إذاً بين الإيمان والكفر من هو؟ الميزان عليّ صلوات الله عليه ، الميزان هو التأويل، هو أن التأويل نسخ التنزيل ، هو الدخول في المرحلة الجديدة ، كما كان النبي أولى من المؤمنين بأنفسهم فإن علياً بنصّ بيعة الغدير أولى من المؤمنين بأنفسهم ، أليس قرأتُ في ليلة البارحة على مسامعكم خطبة الغدير ومن جملة ما كانت من شروطٍ في بيعة الغدير أن مفسّر القرآن عليّ فقط، والتفسير هو التماهي ما بين التنزيل والتأويل ، التفسير هو التنزيل والتأويل ، التفسير هو الحقيقة التي يتعاقب فيها التنزيل والتأويل ، وحقيقة كل شيء مردّها إلى مستوى التأويل .

حينما نذهب إلى بصائر الدرجات لنرى أنّ ميزان الحقيقة أين؟ في بصائر الدرجات لشيخنا أبي جعفرٍ الصفار رضوان الله تعالى عليه من أصحاب إمامنا الزاكي العسكري ، الرسالة التي وجهها إمامنا الصادق إلى الفضل بن عمر، الرسالة طويلة وقد تأتي في تفاصيل حلقات هذا البرنامج على الإشارة إلى أهمّ مضامينها ، لكن ماذا يقول الإمام الصادق ؟ (ثُمَّ إِنِّي أَخْبِرُكَ أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُلٌ) هو رجل، هو عليّ، هو الإمام المعصوم، هو الحجة بن الحسن (ثُمَّ إِنِّي أَخْبِرُكَ أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُلٌ وَذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ اليَقِينُ وَهُوَ الإِيْمَانُ) أصلُ الدين واحد ، اليقين واحد ، الإيمان واحد ، من هو ؟ هو رجل ، الإيمان رجل ، اليقين رجل ، الدين رجل ، (ثُمَّ إِنِّي أَخْبِرُكَ أَنَّ الدِّينَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُلٌ وَذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ اليَقِينُ وَهُوَ الإِيْمَانُ وَهُوَ إِمَامٌ أُمَّتُهُ وَأَهْلُ زَمَانِهِ فَمَنْ عَرَفَهُ عَرَفَ اللهَ) من عرف هذا الرجل عرف الله ، هذا هو التأويل: معرفة الله، معرفة الإمام ، نحن لسنا في مرحلة التنزيل ، هذا الخبط والخلط الذي يقع فيه علماء الشيعة، كثيرٌ منهم وخصوصاً علماء الكلام والفلاسفة منهم، هذا الخبط والخلط مردّه إلى عدم تمييزهم ما بين ما هو من مرحلة التنزيل وما هو من مرحلة التأويل ، ولقد فهموا التأويل على أنه أسلوبٌ للفهم ، التأويل ليس أسلوباً للفهم هو منظومة

متكاملة في جميع الاتجاهات ، التأويل هو الدين بكّله وبكل ما يتفرّع منه (فَمَنْ عَرَفَهُ) مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ الرجل (عَرَفَ اللَّهُ وَمَنْ أَنْكَرَهُ أَنْكَرَ اللَّهَ وَدِينَهُ وَمَنْ جَهِلَهُ جَهِلَ اللَّهَ وَدِينَهُ وَحُدُودَهُ وَشَرَائِعَهُ) إلى أن يقول : (كَذَلِكَ جَرَى بِأَنْ مَعْرِفَةَ الرَّجَالِ دِينَ اللَّهِ) أيّ رجالٍ ؟ هم صلوات الله عليهم (بِأَنْ مَعْرِفَةَ الرَّجَالِ دِينَ اللَّهِ وَالْمَعْرِفَةُ عَلَى وَجْهِهِ مَعْرِفَةٌ ثَابِتَةٌ عَلَى بَصِيرَةٍ يُعْرَفُ بِهَا دِينَ اللَّهِ وَيُوصَلُ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْبَاطِنَةُ الثَّابِتَةُ) وهي المعرفة بالنورانية التي تقدّم الكلام عنها في يوم أمس وسيأتي الحديث عنها أيضاً تباعاً إن شاء الله تعالى في الحلقات القادمة ، إذاً هذا هو الرجل الذي على أساسه الآية قسّمت : فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، هذا الرجل الذي يتحدّث عنه الأصبع بن نباته لَمَّا رَأَى الْحَقِيقَةَ وَاضِحَةً قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَفَرَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي الْقِتَالِ وَاسْتَشْهَدَ فِي الْمَعْرَكَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، الْقَضِيَّةُ وَاضِحَةٌ ﴿ وَكُوشَاءَ اللَّهِ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ هناك اقتتال ، وهل تجد مصداقاً أوضح من مصاديق الإقتتال حينما هجموا على بعض الروايات ثلاثئة على بيت الصديقة الكبرى وقتلوا فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ، هنا بدأ الإقتتال ، قتلوها ، فاطمة قُتِلَتْ ، فاطمة رحلت عن هذه الدنيا مقتولة ، قتلها القوم .

إذا نذهب إلى كتابٍ من كتب المخالفين لأهل البيت وهو (فرائد السمطين) كتاب فرائد السمطين من كتب المخالفين لأهل البيت وهذا هو الجزء الثاني للمحدّث إبراهيم الجويني الخراساني من محدّثيهم في المئة السابعة والثامنة ، هذه الطبعة طبعة دار الحبيب سنة ١٤٢٨ للهجرة ، في صفحة ٣٤ و ٣٥ حديث ينقله الجويني الخراساني فماذا يقول؟ حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلْتُ الدُّلَّ بَيْتَهَا وَأَنْتَهَكْتُ حُرْمَتَهَا وَغَضِبْتُ حَقَّهَا وَمُنِعْتُ إِرْثَهَا وَكُسِرَ جَنْبُهَا وَأُسْقِطَتْ جَنِينُهَا) إلى أن يقول ، الحديث طويل ، موطن الحاجة هنا : (فَتَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَتَقْدِمُ عَلَيَّ) فاطمة (محزونةٌ مكروبةٌ مغمومةٌ مغصوبةٌ مقتولة) الكلمة واضحة لا تحتاج إلى شرح وإلى بيان ، الحديث بيّن : (كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلْتُ الدُّلَّ بَيْتَهَا وَأَنْتَهَكْتُ حُرْمَتَهَا وَغَضِبْتُ حَقَّهَا وَمُنِعْتُ إِرْثَهَا وَكُسِرَ جَنْبُهَا وَأُسْقِطَتْ جَنِينُهَا فَتَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَتَقْدِمُ عَلَيَّ) محزونةٌ مكروبةٌ مغمومةٌ مغصوبةٌ مقتولة)

فاطمة قُتِلت ، متى قُتِلت ؟ بعد رسول الله والآية واضحة : ﴿ وَكَوَشَاءَ اللَّهِ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ، وليس القضية حادثة طارئة، بل هجوم ثلاثمئة رجل ونار وسيوف وسياط وضرب وركل وإسقاط جنين وإلى سائر التفاصيل الأخرى... هذا في كتب المخالفين .

أما في كامل الزيارات والرواية عن إمامنا الصادق وهو ينقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في باب (نوارد الزيارات) الحديث الحادي عشر عن صادق العترة عن حماد بن عثمان ، فماذا يقول إمامنا الصادق؟ (وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ) فاطمة تُضْرَبُ (وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ وَيُدْخَلُ عَلَيْهَا وَعَلَى حَرِيمِهَا وَمَنْزِلِهَا بغيرِ إِذْنٍ ثُمَّ يَمَسُّهَا هَوَانٌ وَذَلٌّ ثُمَّ لَا تَجِدُ مَانِعًا وَتَطْرَحُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الضَّرْبِ وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ) فاطمة ماتت من الضرب ، هذا كلام الإمام الصادق في أوثق مصادرنا الشيعية وذلك كلام المخالفين (وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ وَيُدْخَلُ عَلَيْهَا وَعَلَى حَرِيمِهَا وَمَنْزِلِهَا بغيرِ إِذْنٍ) كسروا الباب وأحرقوا البيت (ثُمَّ يَمَسُّهَا هَوَانٌ وَذَلٌّ ثُمَّ لَا تَجِدُ مَانِعًا) المسلمون تبرؤوا منها وتركوها (وَتَطْرَحُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الضَّرْبِ) كم هو هذا الضرب حتى طرحت ما في بطنها؟! (وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ) ماتت فاطمة من الضرب ، قتلوها ، قتلوا فاطمة .

﴿ وَكَوَشَاءَ اللَّهِ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾
الميزان هنا عليّ، ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي ، الميزانُ عليّ ، الميزان عندنا هو الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه .

إذا نذهب إلى سورة الأعراف، الآية التي ذكرتها قبل قليل وقلْتُ بأنّه وردت فيها مادّة التأويل، وما ذكرتها وأنا أتلو عليكم آيات الكتاب الكريم التي وردت فيها مادّة التأويل ، هي الآية الثالثة والخمسون : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾

إِلَّا تَأْوِيلُهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ
غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿ الآیة الثالثة والخمسون ﴾ ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ ينظرون التأويل: هنا حقيقة الأمر .

إذا نذهب إلى تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه وهو ينقل عن تفسير علي بن إبراهيم القمي تفسير الإمام الصادق صلوات الله عليه ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴾ ﴿ فَهُوَ مِنَ الْآيَاتِ
الَّتِي تَأْوِيلُهَا بَعْدَ تَنْزِيلِهَا قَالَ ذَلِكَ فِي قِيَامِ الْقَائِمِ ﴾ يوم يأتي تأويله .

إذا نذهب إلى الآيات التي تسبقها الآية الحادية والخمسون : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا ﴾ الذين اتخذوا دينهم، الدين هو الإمام المعصوم ومرر علينا قبل قليل في رواية بصائر الدرجات، الدين
رجل، الإيمان رجل، اليقين رجل ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ وقد ورد في بعض
الروايات في أفق من آفاق آيات الكتاب الكريم من آفاق هذه الآية، الذين اتخذوا دينهم: اتخذوا عيدهم ،
الروايات تحدّثنا عن قصّة العيد ، ما قصّة العيد في الروايات ؟ قصّة العيد في الروايات أن قابيل حين قتل
هاييل وانتقلت الوصيّة إلى هبة الله بن آدم عليه السلام، منع هاييل وأولاده وذريته الطرف الثاني - قابيل
وأولاده وذريته هو طرف الشرّ في المعادلة الأرضية - منعوا الطرف الثاني وهو أنصار هاييل وأولاد هبة الله
وأولاد شيث بن آدم، هؤلاء منعوهم من أن يبيّنوا المشكلة التي وقعت بين هاييل وبين قابيل وهي مشكلة
الوصيّة ليس كما يقولون قضية عن النساء ، الله سبحانه وتعالى أمر آدم أن يجعل هاييل هو الوصي، تكون
الوصيّة له ولكن قابيل حسده ثم تباهاً والقصّة المذكورة في الروايات فقتله ، فكانت الجريمة حول الوصيّة،
تحوم حول الوصيّة ، وهذا هو الذي جرى في أمة النبي صلى الله عليه وآله ، الجريمة تدور حول الوصيّة ،
فمنعوا أنصار هاييل، منعوا الخط الهاييلي من أن ينشروا هذه الحقيقة ، منعوهم وهدّوهم بالقتل لَمَّا تكاثروا.

أنصار الخط الهاييلي اتفقوا فيما بينهم أن يعينوا يوماً من أيام السنة، يجتمعون في ذلك اليوم ويتذاكرون فيه ما جرى من ظلامية، ويتحدثون عن علائم الرجل القادم من نسل آدم عليه السلام وهو نوح الذي سيأتي إلى الأرض بالفرج وسيطهر الأرض من نسل قاييل الذين كانوا يعيشون في ذلك العصر ، هنا بدأ تأسيس العيد على الأرض ، العيد هو إنتظار الأمل ، العيد هو العودة إلى خط أولياء الله ، هذا في وجه من وجوه الآية وإلا الدين هنا هو الإمام ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ الرواية عن الإمام الرضا عن عبد العزيز بن مسلم قال : (سَأَلْتُ الرِّضَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ عَنْ مَعْنَى آيَةِ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ الإمام يورد الآية : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ ماذا قال ؟ قال إمامنا الرضا : أي تركهم كما تركوا الاستعداد للقائه يومهم هذا) ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أي نتركهم كما تركوا الإعداد للقائه يومهم هذا ، فهل سينطبق علينا هذا العنوان مع إمام زماننا؟! هل ننسى التمهيدي والإستعداد ولا نعمل باتجاههما فنكون من مصاديق هذا المضمون : (أي تركهم كما تركوا الاستعداد للقائه يومهم هذا) . ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ * وَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَا فِيهِ عَلَى عِلْمٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا نَأْوِيهِ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّدْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ * هل ينظرون إلا تأويله، والتأويل كما جاء في تفسير علي بن إبراهيم هو ظهور القائم صلوات الله وسلامه عليه كما بينت قبل قليل وفي الحلقة الماضية بأن التأويل في تكامل ولا تتكامل مرحلة التأويل إلا بظهوره الشريف وببسطه العدل والقسط على كل جزء من أجزاء هذه الأرض .

إذا نذهب إلى سورة براءة، سورة التوبة لنجد في الآية الثالثة والثلاثين : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ هذه الآية الثالثة والثلاثون في سورة التوبة ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ونفس هذه الآية جاءت في سورة الفتح ولكن الاختلاف في نهايتها في ذيلها ، الآية الثامنة والعشرون من سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وهي التاسعة من سورة الصف ، إذا نذهب إلى الآية التاسعة من سورة الصف : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

إذا نذهب إلى روايات أهل البيت وإلى كلماتهم الشريفة، الرواية ينقلها شيخنا الصدوق في (كمال الدين وتمم النعمة) عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله في قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ قال : والله ما نزل تأويلها بعد (لأن هذا المعنى لم يتجلى واضحاً ﴾ هو الذي أرسل رسولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ لأن مرحلة التنزيل تمت وانتهت ولكن مرحلة التأويل لا زالت متصلة ، والله ما نزل تأويلها بعد ، الآية واضحة ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ أرسله بالهدى ودين الحق ألم يبلغ الهدى ودين الحق في أيام حياته صلى الله عليه وآله ؟ الإمام يقول هنا : (والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم) هذه الحقائق لن تتجلى إلا بظهور الشريف صلوات الله وسلامه عليه .

التنزيل مرحلة، منظومة متكاملة نسّحها التأويل ، والتنزيل والتأويل متداخلان ، هناك جهات يكون التنزيل فيها هو التأويل و جهات يأتي التأويل فينسخُ التنزيل ، وهذه هي الإشكالية الكبيرة التي وقع فيها الكثير من علماء الشيعة في عدم فهمهم لحديث أهل البيت فاضطروا إلى إلغاء نسبة كبيرة من حديث أهل البيت ووضعوه جانباً وتمسكوا فقط بالأحاديث التي تتناسب مع مرحلة التنزيل مع أن التنزيل كانت مرحلة تمهيدية واقرن تمامها وكماها ببيعة الغدير ، يعني لو أن بيعة الغدير لم تكن ولم يُعلن للأمة بشكلٍ رسمي أن مرحلة التأويل قد بدأت مع عليّ الذي سيقاتل عليه، لَمَا كان هناك شيءٌ من دين ﴿ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ ﴾ ، القضية واضحة، واضحة جداً ولا تحتاج إلى طويل تأمل ولكن المشكلة صارت أن الأحاديث التي يتناولها علماءنا يعرضونها على مرحلة التنزيل ، مع أن مرحلة التنزيل مرحلة نُسخت، نسخها التأويل ، ولهذا السبب جاء القرآن وجاء الحديث فيه ناسخٍ ومنسوخ وفيه مُحكمٌ ومتشابه وإلى آخره ، وأعتقد أن المطالب تتضح شيئاً فشيئاً .

أأخذُ نماذج من كلمات أهل البيت، من أحاديث أهل البيت التي تشيرُ إلى أي شيءٍ ؟ تشير إلى حقيقة التأويل ، إلى جهاتٍ من التأويل ، نماذج ، نماذج ميسرة مبسطة وإلا فحديث أهل البيت كله يدور مدار التأويل، مدار مرحلة التأويل ، هذا كتاب معاني الأخبار لشيخنا الصدوق ويمكن أن أقول بأن أكثر رواياته وأكثر أحاديثه هي تدورُ حول مصاديق واضحة وشاخصة من مرحلة التأويل لكنني أورد هذه الرواية على سبيل المثال :

الرواية عن عليّ بن الحسن بن فضال ، وهو شخصية معروفة، من الشخصيات المعروفة من رواة الحديث ، عن أبيه قال : سألتُ الرضا أبا الحسن عليه السلام فقلتُ له : لِمَا كُنِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَبِي الْقَاسِمِ (إنفتوا إلى هذه الرواية ، رواية جميلة ابن فضال يسأل الإمام الرضا لِمَ كُنِيَ نَبِينَا بِأَبِي الْقَاسِمِ (سألتُ الرضا أبا الحسن عليه السلام فقلتُ له : لِمَا كُنِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَبِي الْقَاسِمِ ؟ فقال : لَأَنَّهُ كَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ قَاسِمٌ فَكُنِيَ بِهِ ،

قال: فقلتُ له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟ (يعني هذا الكلام من مرحلة التنزيل ، أريد كلاماً من مرحلة التأويل ، ابن فضال يسأل الإمام الرضا لم كُنِّي رسول الله بأبي القاسم؟ قال كان له ولد يُقال له قاسم فكُنِّي به (فقلتُ له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة؟) أن تخرجني من مرحلة التنزيل ، هذا هو معنى التقية والمدارة ، الأئمة كانوا يُدارون ويتقون، يجيبون بأجوبة تتناسب مع مرحلة التنزيل لا مع مرحلة التأويل (فقلتُ له: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة فقال: نعم) فيبدأ الإمام بيّن جانباً وليس هذه كل الحقيقة، جانب من جوانب معنى هذه الكنية وأنا اخترت هذه الرواية باعتبار أن الكنية ينظر إليها الناس أنها مسألة بسيطة مسألة إجتماعية ليست لها أبعاد أكثر من أن يُنادى الرجل ويكُنِّي بإسم ولده أو بإسم بنته (فقال: نعم أما علمت أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ أَبُو هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبٌ لِّجَمِيعِ أُمَّتِهِ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ بِمَنْزِلَتِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا قَاسِمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ ، قِيلَ لِلنَّبِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ ، لِأَنَّهُ أَبُو قَاسِمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِأَنَّهُ أَبُو عَلِيٍّ ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا مَعْنَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: إِنَّ شَفَقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أُمَّتِهِ شَفَقَةُ الْآبَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) أنا وعليُّ أبو هذه الأمة، هذه جهة، وجهة ثانية أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبُو عَلِيٍّ أيضاً ، فعليُّ هو الأفضل في هذه الأمة هذه جهة ثانية ، (أما علمت أن رسول الله أَبٌ لِّجَمِيعِ أُمَّتِهِ وَعَلِيٌّ فِيهِمْ بِمَنْزِلَتِهِ ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا قَاسِمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ؟ قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لِأَنَّهُ أَبُو قَاسِمِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا مَعْنَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: إِنَّ شَفَقَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أُمَّتِهِ شَفَقَةُ الْآبَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) إلى آخر الرواية ، فقيل له أبو القاسم لأنه أبُّ لقاسم الجنة والنار ، لأن عليّاً هو خيرُ البشر ومن أبي فقد كفر ، هو خير الأمة لا يُقاسُ به أحد ، وهنا كانت

شفقة النبي عليه هي الشفقة الأولى، بل عليّ هو نفس مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولكنها حيثيات ولولا حيثيات لبطلت الحكمة، وتلك من خصائص مرحلة التأويل . هذه روايةٌ وحديثٌ من أحاديث إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه .

حديثٌ آخر وهذا هو كتابُ صحيفة الأبرار للميرزا محمد تقي التبريزي رضوان الله تعالى عليه هذا هو الجزء الأول من كتاب صحيفة الأبرار ، الرواية عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه في الصفحة الثالثة بعد الأربعمئة ينقلها عن كتاب الشيخ عيسى المصري بسنده ، محاورة فيما بين الإمام الصادق صلوات الله عليه وأبي حنيفة ، أخذ منها موطن الحاجة لأن المحاورة طويلة (قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ) أبو حنيفة يسأل الإمام الصادق (قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبَرَنِي بِأَيِّ شَيْءٍ فَضَلْتُمْ عَلَى النَّاسِ) طبعاً جاء أبو حنيفة مع أصحابه والمحاورة حدثت في الكوفة حين كان الإمام الصادق في الكوفة في مقطعٍ زمنيٍّ من حياته صلوات الله عليه كان في الكوفة في ذلك المقطع جاءه أبو حنيفة مع أصحابه (قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبَرَنِي بِأَيِّ شَيْءٍ فَضَلْتُمْ عَلَى النَّاسِ وَلَا تَكْثُرْ عَلَيْنَا فَنَنْسَى) بأيّ شيءٍ فَضَلْتُمْ عَلَى النَّاسِ وهذا من سوء الأدب أيضاً وهو يخاطب الإمام (وَلَا تَكْثُرْ عَلَيْنَا فَنَنْسَى) على أيّ حال ليس الحديث الآن عن محاكمة أبي حنيفة (جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبَرَنِي بِأَيِّ شَيْءٍ فَضَلْتُمْ عَلَى النَّاسِ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ تَتَمَنَّى أَنَّهَا مِنَّا وَلَا تَتَمَنَّى أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ) جوابٌ واضح وصريح (لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَّةِ تَتَمَنَّى أَنَّهَا مِنَّا وَلَا تَتَمَنَّى أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : كَلَامٌ مَفْهُومٌ مُوجِزٌ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ أَيضاً) ما عندك من الأسئلة (قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ لِتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ مَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ هُوَ عِنْدَنَا أَنْ

یرى الرجل آخری عمل بما لا یرضاه الله فینهاه عنه ویأمره بطاعته والكف عن معصيته (ماذا قال الإمام ؟) (لیس الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر ما ذكرت ، فقال : ما هو جعلني الله فداك) هذا المعنى الذي ذكره أبو حنيفة هو معنى تنزيليّ، في مرحلة التنزيل، وهو في ذيل معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر (قال لیس الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر ما ذكرت ، فقال : ما هو جعلني الله فداك ؟ قال : المعروف يا أبا حنيفة، المعروف في أهل السماء المعروف في أهل الأرض ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، فسكت أبو حنيفة ، فقال له : يا أبا حنيفة، أسكوتُ رضياً أم سكوتاً إنكاراً ؟ فقال أبو حنيفة : ومن يقدر أن ينكر هذا القول جعلني الله فداك ؟ فقال له : هاتِ أخرى ، فقال : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَسَأَلْنِي يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ما النعيم الذي يُسأل عنه ؟ قال : ما هو عندك يا أبا حنيفة ؟ قال : الأمن في السرب) السرب يعني الطريق، طريق السفر (الأمن في السرب وصحة البدن والقوت الحاضر ، فقال : يا أبا حنيفة لئن سألك الله عن كل أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولنّ عليك ذلك ، قال : فما هو جعلني الله فداك ؟ قال : نحن النعيم فبنا أنقذ الله الناس من الضلالة وبصرهم من العمى ، فقال أبو حنيفة : حكمة مُحكمة وقول مقبول) إلى آخر ما جاء في هذه المحاورة ، بيانات ما بين أبي حنيفة وما بين إمامنا الصادق ما هو من مرحلة التنزيل وما هو من مرحلة التأويل، ومثل هذا كثير إذا أردنا أن نتصحّح الروايات ، ما جئتُ به من الأحاديث وما جئتُ به من الآيات إنّما هو نماذج تعكس الفارق بين ما هو تنزيليّ وبين ما هو تأويليّ .

خلاصة القول: أنّ التنزيل منظومة متكاملة وأنّ التأويل منظومة متكاملة قد يلتقيان في بعض الجهات ولكن يختلفان في أكثر الجهات لذا كان التأويل ناسخاً للتنزيل وكما قلتُ إنّني أتحدّث عن المضمون الذي جاء في أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله التي رَوَّتها الخاصّة والعامة أنّه صلى الله عليه وآله يقاتل على التنزيل وأنّ عليّاً يقاتل على التأويل ، وكما قلتُ بأنّ التأويل كانت بداياته وكان التمهيد له منذ زمان النبيّ، لكنّ الأُمَّة

دخلت في هذه المرحلة في بيعة الغدير وبقية الأئمة على طول الخطّ يُتمّون بناء مرحلة التأويل التي لن تكتمل إلا بظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه حين يبسط العدل والقسط على وجه البسيطة، كما تقول الروايات بأنّ عدله سيدخل إلى بيوتهم كما يدخل الحرّ والبرد ، مثلما يدخل الحرّ إلى البيوت من الأبواب ومن النوافذ ومن كلّ مكان فإن عدله صلوات الله وسلامه عليه سيدخل إلى البيوت وسيدخل إلى القلوب والعقول .

أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء

صلوات الله وسلامه عليك سيدي يا بقية الله

في الحلقة القادمة، في حلقة يوم غدٍ إن شاء الله تعالى سأتناول تطبيقاً عملياً لهذه المطالب التي أشرتُ إليها بحسب ما سنع به المقام والموضوع، في الحلقة القادمة: الشهادة الثالثة ما بين التنزيل والتأويل .

أسألكم الدعاء جميعاً

تصبحون وتمسون على ولاية الزهراء وآل الزهراء .

زهرايون نحن والهوى زهراي

في أمان الله .

* ملفّ التنزيل والتأويل متوفر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com